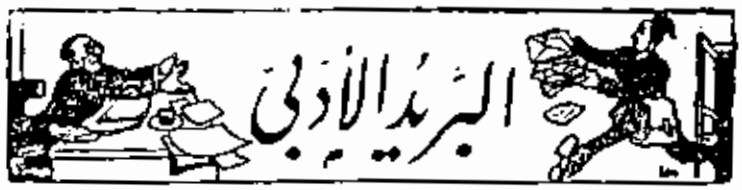

أمسى خليل مطران في جريدة الهدى التي تصدر في نيويورك :

رب القريض وسيد القلم وفيت قسطك للعلى فنم

هذا البيت الجامع الذي عبر به المطران عن شعور العالم العربي نحو اليازجي يصح فيه .

بل إن الشعور بفقد خليل مطران أوفر شمولا وامتدادا لأن العالم العربي أصبح أعظم اتساعا بعد أن انتشر أبناء العربية في مشارق الأرض ومغاربها وهم لما يزالون أوفياء بعهد أوطانهم الأولى ، والرعيل الأول منهم شديد التمسك والمفاخرة بوطنه الأم

ومعظم المهاجرين من متكلمي اللغة العربية هم من اللبنانيين . وخليل مطران يمت إليهم بصلة نسب ؛ لأنه رأى النور في ظلال بعلبك : مدينة الشمس ومهبط الوحي العلوي في مسارح الفن والجمال . إلا أن خليلا من الهبات التي جاد بها لبنان على العالم ، فصار لا شاعر القطرين فقط بل شاعر الأقطار العربية . وكان للقطر الشقيق مصر الفضل الأكبر في إفساح المجال لإبداء مواهبه وتجلي عبقريته . فأفضلت مصر بذلك على عالم العروبة بأجمعه .

وقد رأينا من شواهد المنزلة العليا التي يحتلها خليل مطران في عالم العروبة بشتى فروعه ما كان من إجماع الرأي في العالمين : القديم والجديد على تكريمه في ذكرى يوبيله الذهبي الذي وافق الاحتفال به في السنة ١٩٤٧ . ففي مصر جرى الاحتفال الرائع في دار الأوبرا الملكية برعاية جلالة الملك ، وأقيمت في نفس الموعد احتفالات متشابهة في سائر الأقطار العربية ، كما أقيمت حفلة في نيويورك برعاية جريدة الهدى ومحضور الأستاذ إميل زيدان صاحب الهلال ومندوب لجنة التكريم المركزية في القاهرة ، وبمشاركة عدد كبير من رجال الأدب من مقيمين وزائرين ، ومن ساسة العرب وفي مقدمتهم فارس بك الخوري .

وما دمنا قد أكرمنا خليل مطران حيا ، اعترافا برفيع أدبه وعميم فضله فأحرى بنا أن نشارك العالم العربي في تكريم ذكراه برهانا على شدة شعورنا بألم خسارتنا إياه . وحقا إن الخسارة بليغة والألم شديد ، وإذ نحن نقوم بواجب الذكرى فإنما نقدم على ذلك عن شعور عميم .

وما هذه بالمرة الأولى التي تنهض بها جريدة الهدى للقيام بالواجب نحو أدباء أفذاذ أفضلوا على عالمنا بما خلقوا فيه من آثار خالدة من نتاج الأدب . وإذا نحن لم نذكرهم جميعا فنكتفي بالإشارة إلى شوقي وحافظ والبستانيين عبد الله وسليمان الذين كانت حفلة تكريم ذكرى كل منهم مجلى لأبدع نتاج الأدب وأجمل مظاهر الشعور الصافي بين المهاجرين .

وقد خاطبنا في أمر الحفلة التأبينية لخليل مطران طائفة من الأدباء فأجمعوا على إقامتها في موعد الأربعين الموافق اليوم العاشر من شهر آب القادم . وكان في طليعة المجيبين الأديب المصري الكبير المقيم بيننا الآن في نيويورك الدكتور أحمد زكي أبو شادي الذي كتب إلينا في الموضوع يقول :

« إن لجميعة العالم العربي في شاعره المبقري النبيل لأعظم من أن تصور . وما الغاية من التأبين إلا الاعتراف بالجميل واستخلاص العظات والدروس الملهمة من حياة مجيدة ، وإذا كانت مصر ولبنان تتنافسان في نسبة الفقيد العزيز إلى ربوعهما فلا مشاحة في أن لبنان — مسقط رأس مطران — أحق برعاية تأبينه وإن كانت مصر قد تصدرت لطبع آثاره ودواوينه » .

وقد تلطف الدكتور أبو شادي بقبول تولي سكرتيرية لجنة حفلة التأبين ، كما كان قد تلطف بتولي عرافة حفلة التكريم التي أقيمت للفقيد في نيويورك منذ سنتين يقينا بأن علينا جميعا واجب التآزر والتعاون في تكريم النبوغ في ذويه وقد كان الخليل في الطليعة .

في النثر الأدبي :

تتجه مراقبتنا إلى الناقدين في هذه الآونة ؛ فلم نجد صراحة التنزه عن الملأة ، فإفاضة الإطراء تفيض على النتاج ما يباعد بينه وبين المؤاخذة ، وإذا كان العمل الأدبي الفذ أساسه « التعبير عن الحياة » ؛ فقد نأى التذوق عن تبيانه على أسلوب قوام متسط بعيد عن التحامل والدخل !

وإن منهج « النقد الأدبي » يقوم على « الفهم ، والأناة ، والإلمام والموازنة » ، لكن أداته لم تعد ذات جلال لانحرافها عن القصد إلى الغاية ؛ فالوساطة قد تغلغلت في حياتنا حتى شملت حاسة الضمير فأبدلته وأثرت في حكمه ، وألفت رقابته التي لها القول

الفصل فى الحكم على الأمور .

وأدب القصة لون يلون « التجربة والخبرة » ؛ لأنه يصور الحياة تصويراً دقيقاً ؛ فينقل المشاهدات فى عبارات تختلف قرباً وبعداً على قدر الملابسة « النفسية » لموضوع القصة .

ورسالة القاص يجب أن تلم إلماماً شاملا بمعنى « التجربة » حتى يجيء عمله الفنى صورة حية مشخصة أمام باصرته ، على ألا يوغل فى الخيال الجزاف أو الاسترسال المسرف ، استدناء لميول « شعبية » ، أو استثارة لغرائز بدائية .

نقول هذا بعد قراءتنا قصة للرجل الملهم الأستاذ « توفيق الحكيم » ... أسماها « ليلة الزفاف » . وحسبك أن ترى فى العنوان سمة استهالة الغريزة ، لكنك سترى تصويراً لرجل « مثالى » أشفق عليه الخيال الحكيم ما باعد بينه وبين البشرية ، حتى كاد أن يلحقه بالتجريد ، ويدنيه من خلائق النبوة ! وإن تلك الصورة — الوهمية — على ما فيها من تجاف عن الواقع « فى الحياة » ، تدلنا على مدى رغبة القاص فى السمو بالمعانى الروحية ، ومجانبة الماديات ، لكنها فى الوقت نفسه تثير الغريزة الفوارة بالجسدية عن طريق أسلوب العرض القصصى استجابة للميول « الشعبية » التى أشرنا إليها .

ولقد صوّرت لنا صورة « البطلة » أنها تنام على وجهها (كذا !) ثم تحتضن الوسادة . فهل يرضى الفن الرفيع أن يعبر رجل أصيل فى التعبير الأدبى السامى : « وطوقته وضمته ... وإذا هو يجد نفسه فى مكان الوسادة التى اعتادت أن تحتضنها ليلا ! »

كان يمكن للحكيم أن يقول : « ودنت منه ... ثم سبحت روحاها فى سماء الحب القدسى » ... لكنه تعبير شعبى آثره ، وليس هذا فيما نعتقد الرمز الصادق لما يسمونه « الأدب الواقعى »

« بور سعيد » أحمد عبد اللطيف برر

تعليم اللغة بدراسة الأساليب:

حضرة المحترم الكاتب النابه الأستاذ عباس خضر

قرأت كلمتكم السامية بالرسالة الغراء عن تعليم اللغة بدراسة الأساليب . وقد كنت أرقب من حين إلى حين الكتابة عن هذا الموضوع الحيوى الذى يتصل بقوميتنا وحياتنا إتصالا قوياً .

ولقد راقنى جداً الإحاطة بالموضوع من جميع أطرافه ، فشفيت نفسى ، وانثلجت صدرى ، غير أنى أحب أن أزداد فهماً لطريقة استخلاص قواعد اللغة العربية من الأساليب ؛ فإنك مع تعليقك عليها لم تشف غليلى ، وتنقع غلتى ، لأنك أتيت بتفسير من عندك وكان ينبغى لك أن تأتى البيوت من أبوابها ، تسأل حضرات المفتشين عن المراد من تعليم القواعد بالأساليب ؛ لأنى رأيتك تتكلم عن القواعد باعتبار ما كان . حتى أنك قلت : « ولا تزال مناهج المدارس فى اللغة العربية مثقلة بهذا النحو ، وخاصة فى المدارس الابتدائية . فالطفل فى السنة الثانية مكلف أن يعرف الفاعل والمفعول به والمبتدأ والخبر ومطالب بتكوين جمل ... » . وفاتك أن تعلم أن تلميذ السنة الثانية غير مكلف بمعرفة الفاعل والمفعول به ولا بمعرفة تكوين الجمل ، فقد حذف النحو من منهجه ، وصار يتعلم اللغة بالأساليب من غير استخلاص القواعد

والواقع أن اللغة العربية فى أمر مريج وقلق شديد ، فمناهجها فى تغيير دائم ، فقد يغير المنهج فى العام الدراسى الواحد مرتين أو أكثر — كما حصل فى هذا العام — وبجوارها اللغة الإنجليزية لا تغير مناهجها إلا فى فترات مختلفة متباعدة .

ومنهج اللغة العربية لو اطلعت عليه لوجدته عجيباً غريباً يدعو للسخرية والابتسام ، فالمدرس مكلف — كما تعلم — أن يستخرج القواعد من الأمثلة أو بتعبير أدق من الأساليب ، ولكن الكتب المقررة لا تفيد المطلوب ، ولا المنهج نفسه يعين على الاستخراج والاستنباط .

فتلميذ المدارس الابتدائية حدد له منهج فى اللغة العربية يبدأ بمعرفة المبتدأ والخبر فكيف يستنبط المبتدأ ويعرف أنه اسم وهو لم يعرف الاسم والفعل والحرف ! ثم يطالبه المنهج بالمطابقة بين الخبر والمبتدأ وهو لم يعرف علامات الإعراب : الأصلية والفرعية ثم يطالبه بالإعراب والتلميذ قد حماه الله من المعرب والمبنى ، ثم يطالبه بالمطابقة بين الحال وصاحبها والصفة والموصوف ، وهو لم يطالب بمعرفة النكرة والمعرفة ، ليفرق بين الحال والصفة ، إذ الحال ينبغى أن يكون صاحبها معرفة إلى غير ذلك من الأشياء المتناقضة المتعادية ، فليس يكفى أن نقول استخلاص القواعد من الأساليب ونسكت ، بل يجب أن يبين لنا الأستاذ الحميد الطريقة فالأبواب المقررة على التلميذ معلقة بين السماء والأرض . لا تستند إلى شىء ، ولا تقف على أساس .

وما تلك الأساليب ؟ أهي أساليب عصرية أم قديمة ؟ فاللغة العصرية الموضوعة أمام التلميذ إما مفتعلة متكلفة وضعها الواضع للصغار وقد خلت من الرونق والبهاء وإما مختارة من شعراء وكتاب كشوقي وحافظ والمنفلوطي ، ولفهم أعلى من إدراكه ، وإذا كانت الأساليب المشار إليها قديمة فتلك أدهى وأمر ، فأنت أيها الأستاذ في حيرة مني ، فالنحو في المدارس قد بتر بتراً ، والاساليب غير كافية وغير شافية . فماذا نصنع للابقاء على تلك اللغة والمحافظة على رونقها وبهائها ، لقد أبغضنا النحو والإعراب وحيل بين التلميذ والرياضة الذهنية — كما كان يقال — فماذا يقدم له حتى يجد من نفسه لنفسه دائماً يدفعه إلى العناية بها ، والتعلق بآدابها ؟

أما أنا فقشائم ؛ لأن إهمال النحو سيعطي للتلميذ فكرة خاطئة بجانب فكرة خاطئة سابقة فهو سيعتقد أن اللغة محفوظات ومطالعة وإنشاء لا بالمعنى الذي نفهمه نحن ، وإنما بالمعنى الذي يفهمه التلميذ ، فأي قصيدة تكتفيه ، والمطالعة فيها تسامح ، والإنشاء أي كلام ينفع لأن اللغة العامية لغة عربية ، وصدقني أن بعض المدرسين لا يتورع من وضع الدرجة على اللغة العامية ما دام المعنى مستقيما . وبجانب ذلك قد تعلم اللغة الأوربية تعليما صحيحاً ودرسها بعناية ، واهتم بها ليله ونهاره ، فهو يتلقاها تلقياً من العامية ، ويتمرن عليها بجد واجتهاد ، أما اللغة العربية فتأتيه بعاميتها ، ويقبل عليها من غير اهتمام ؛ لأنه سينجح فيها اهتم بها أو لم يهتم ، وهذه نهاية محزنة ، وخطب جسيم يجب أن نتحاشاه فالواجب إذاً أن يوضع المنهج وضعاً جديداً يلائم بين أبواب النحو حتى يفهمها التلميذ فهماً تاماً وتقدم إليه أساليب جيدة تختار بعد تمحيص وتنقيب .

فاليك أيها الأديب الغيور كلمتي راجياً منك أن تعاود الكتابة في ذلك الموضوع حتى تصل إلى حل يرضي المفتش والمدرس والتلميذ .

السيد حسن قرون
المدرس بوطيج الابتدائية للبنات

رد على معترض :

قرأت في العدد (٨٣٣) من الرسالة الزاهرة كلمة في البريد الأدبي بتوقيع السيد رائد يحيى الشامي . يعترض بها على فقرتين من كلمة سبقت لي في الرسالة بعنوان « ثلاثة جاهدوا فصدقوا » .

وفيما يتعلق بتينك الفقرتين أنبه المعترض الكريم إلى أنه حين يدقق النظر في الكلمة نفسها يجد جواب ما يتساءل عنه في ثنايا الكلام .

على أن الذي عجبت له أن يعرف هذا السيد (الشامي !) أنني من « الساط من شرق الأردن » ثم لا يعرف إلى جانب هذه الحقيقة — التي لم أنكرها يوماً — أنني مواطن في فلسطين منذ ما يزيد على الأربعة عشر عاماً أمضيتها في التوجيه الثقافي طيلة هذه الفترة من الزمن . ولقد طوفت في مختلف أنحاء البلاد زائراً أو محاضراً ، فتعرضت إلى النفر المثقف من أبنائها . ولعلي لا أبالغ حين أزعم أن الكثيرين من هذا النعرانطيب يعدونني في معارفهم إن لم أكن في أصدقائهم .

ولقد عجبت أيضاً أن يفوت هذا السيد (الشامي !) — إلى جانب ما عرف — أنني منذ سبع سنوات أحاضر من محطتي القدس والشرق الأدنى ، ثم من محطتي دمشق وبغداد (بعد ذلك) عن الأدب والأدباء في فلسطين من قديم وحديث ، حتى انتهيت من ذلك كله إلى أن أضع كتاباً بعنوان « الأدب في فلسطين » وأن أنشر في مجلة الرسالة الزاهرة ما يزيد على عشرة فصول منه ، دون أن أجد من يعترض على ما كتبته أو حاضرت به من أدباء البلاد وأبنائها !!

ثم لا أدري أخيراً كيف فاته أن يعلم أن إدارة المعارف الفلسطينية انتدبتني للعمل في معاهدها بفضل هذه المواطنة التي أشرت إليها آنفاً .. فهل ترى يا أخي المعترض بعد ذلك كله ؟ «أن معرفتي بجغرافية فلسطين وأهلها (على رأيك) محدودة جداً »

فإن كان (خطبك !) — يا أفادك الله — يقف عند حدود الإشفاق على جغرافية فلسطين (وليس غير ؟) فليفرغ روعك ، ولتعلم أني ما تحدثت عن مكان إلا وقد وطئته قدماي ، ولا ترجمت لأديب إلا بعد روية وتبصر واطلاع على ما تصل إليه يدي من آثاره . ثم إن الذي نشرته (أو أذعت به) فصول من كتاب ، وأن في الكتاب ما يفتقده من تتبع تلك الفصول .

ومع ذلك فلن يضيرني أبداً أن أجد من يأتي بأوفى مما أتيت به ، ويصنع أكمل مما صنعت . فما أنا وذاك إلا خادماً حقيقة ، لا نستوفي مما نصنعه أجراً ، إلا أن يكون من مثل هذا الإعجاب الذي كتمه فؤادك ونم عليه قلمك !

محمد سليم الرشداوي